ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

**Sabih Dyer Nashmi**

**Dr. Wasan Sadiq Abbas**

**University of Wasit - College of Education for Human Sciences**

**Email:**
std20222023.snshimi@uowasit.edu.iq
walbadrawy@uowasit.edu.iq

***Keywords:***

**The city, significance, Spinning poetry, the Umayyad era**

CC BY

**A r t i c l e i n f o**

***Article history:***

Received 5.Jul.2024

Accepted 6.Aug.2024

Published 25.Aug.2024

# Characteristics of the city and its role in the semantic transformation of Spinning poetry in the Umayyad era

A B S T R A C T

Urban approaches are reflected through their social, psychological and cultural influences and consequences, and the socio-cultural indicators and pressures that these indicators and cultural pressures entail in terms of syndromes that interact in one way or another with the rhyming buildings, so that the impulses and impulses that are coordinated according to those influences show their characteristics and graphic signs in the nature of the poetic purpose and its linguistic and moral formulations, to form a system of values. Considered, inspired by the geographical environment in which it arose or appeared. Therefore, the nature of research into the organizational structure of urban poetry, whether at the level of form or content, imposes an in-depth study of the general cultural atmosphere that resulted from the various poetic systems, and perhaps the aspect of youth is also of importance in The rest of the places have different atmospheres and environments. Its importance within the urban center is no less than its counterparts, as it is considered a clear and accurate indicator of the narratives of the emotional reality that was compatible with its incubating urban environment. Therefore, this study came to shed light on this important artistic and literary content within human existence in its civilized Arab character. Its most prominent features and transformations are identified within the semantic classification, with its formal and moral aspects.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

**DOI:** https://doi.org/10.31185/eduj.Vol56.Iss2.4032

# سمات المدينة ودورها في التحول الدلالي لشعر الغزل في العصر الاموي

**الباحث : صبيح داير نشمي أ.م.د. وسن صادق عباس**
**جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الانسانية**

**الملخص :**

تنعكس المقاربات المدينية عبر مؤثراتها وتوابعها الاجتماعية والنفسية والحضارية ، وما يستتبع تلك المؤشرات والضواغط السيسيوثقافية من متلازمات تتنافذ بشكلٍ أو بآخر مع الابنية المقفاة، حتى ان البواعث والخلجات التي تنساق تبعاً لتلك المؤثرات تظهر مميزاتها وشواخصها البيانية في طبيعة الغرض الشعري وصياغاته اللغوية والمعنوية ، لتشكل منظومة قيمية معتبرة ، مستوحاة من الوسط الجغرافي الذي نشأت او ظهرت من خلاله ، عليه فإنَّ طبيعة البحث في الهيكلية التنظيمية لشعر الحضر سواءً على مستوى الشكل او المحتوى يفرض التعمق في دراسة الجو الثقافي العام الذي تمخضت عنه مختلف المنظومات الشعرية ، ولعل جانب التشبيب كما له من الأهمية في بقية البقاع والأجواء والبيئات المختلفة ، فإنَّ أهميته ضمن الوسط المديني لا تقل عن مثيلاتها كونه يعد مؤشراً واضحاً ودقيقاً لسرديات الواقع الشعوري الذي جاء متوافقاً مع بيئته الحضرية الحاضنة . عليه جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على هذا المحتوى الفني والأدبي المهم ضمن الوجود الإنساني بطابعه العربي المتحضر . وتشخص أبرز سماته وتحولاته ضمن التصنيف الدلالي بجانبيه الشكلي والمعنوي

**الكلمة المفتاحية :** المدينة ، الدلالة ، شعر الغزل ، العصر الاموي

**المقدّمة :**

تعددت المحاور والاغراض الشعرية التي ادخلت المدينة ضمن قوالبها الصياغية ، وجعلت منها محوراً جوهرياً مهماً ليس ضمن أنساقها الموضوعية وسياقاتها الدلالية ، بل أضحت تلك الصور والالتفاتات بطبيعتها الجغرافية والطبوغرافية عبارة عن كنز لا ينضب من الرموز والاشارات الغنية التي تعطي للمنظوم الشعري ابعاداً أمعن تنظيماً وأوفر شمولاً ، فأصبحت تلك الاشارات الجغرافية غنية بالتأويلات التي ترمي الى تجديد المنظوم الشعري بطابعه العام المتوافق مع أدوات ودوال الطرح المأثورة ، ورفده بمقومات وصور خطابية يمكن أن توسع من دائرة التضمين الرمزي والدلالي لتحيل عناصر ذلك الخطاب المقفى الى منظوم غني بالمعطيات التي تزيح معها اللغة والاحالات الشكلية بحثاً عن المعاني والدلالات المتضمنة في معنى الخطاب وإحالاته المعنوية .

فيستعير الناظم آثار تلك المواقع والبواطن الحضارية بطبيعتها المادية ليعطيها بعداً روحياً معالجاً إياها بوصفها حاضنة تمتلك من المقومات الوجودية ما يمكنها من تضمين جوانب مترامية ضمن معطياتها البيئية ، وهي بهذا المجال عبارة عن بنية متلازمة ومتواصلة من المظاهر المادية والحسية والفكرية معاً ، عليه لم يألُ الشاعر جهداً في أن يستفيد من معطياتها الدلالية ليحيلها الى جوانب وجدانية ذات أثر فاعل في التحول الرمزي في هذا الاتجاه ، او على عكس ذلك من المعاني والدلالات التي يلتصق اثرها بالوجود المادي الحاضن .

وليس ببعيد عن هذا المعنى ما آثره ثلة من النواظم الذين أسست لنتاجهم الفني والأدبي التحولات البيئية والحضارية التي رافقت طلائع العصر الأموي، وما تحايث مع بوادر النهوض والتمدن من انسلاخ وانزياح ضمن المضمون الأدبي عما كان عليه في العصور السابقة ، او الجاهلية بالتحديد .. فقد تكفلت البيئة الحضرية بتشذيب وتهذيب الهيكل العام الذي بنيت عليه محمولات المنظوم الشعري بصورة عامة . وقصائد التشبيب او الغزل بصورة خاصة ، حتى انتصبت تلك

الأخيرة في قوالبها البنائية الجديدة وقد نفضت عن نفسها الكثير من المتعالقات البنيوية التي رافقتها طوال الحقب السابقة على العصر الاموي ومن أهمها المقدمات الطللية، فضلا عن المعتركات والاغراض الضمنية التي تداخلت وحلت بوصفها عنصراً بنائياً مركباً يتعالق مع مدلوله التشبيبي بالغرض ، ويفترق عنه بالمسار والغاية .

واذا توجهنا صوب تعريفات السمات التي يعود مفردها الى سمة ، نجدها عند اللغويين تشير بتصريفاتها الى السمة والسومة والسيمياء والسيمي : أي العلامة والهيئة . يقال "فيه سومة الصلاح وسيمته" أي علامته. السيميا– السيمياء: العلامة –البهجة والحسن. المسوم: الحَسَن الخلق/ المعلم بعلامة يعرف بها، الواحدة "سامة" **(لويس معلوف ، ١٩٩٦ ، ص٣٦٥)** ._كما جاء ذكرها القرن الكريم وفي اكثر من موضع ، كقوله (ﷻ) : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح/٢٩) ، وفي الاصطلاح هي الصورة بوصفها هدفاً من أهداف الخبرة الجمالية ليست شيئا ماديا بل هي شكل كلي بصري يستطيع المشاهد المتعلم أن يحلله الى مركب من السمات المختلفة ، لكل منها اسمها الخاص ومعناها المفهومي . وتختلف سمة معينة بعض الاختلاف وفق المركب الذي تجيء فيه" **(توماس مونرو، ١٩٧٢،ص٤٤٢)** . ومعناها ايضاً الإرسالية الأساسية للتواصل الانساني كيفما كانت مكونات هذه الارسالية ، سمعية، بصرية ، شمية، حركية.. الخ" **(برنارد توسان، ٢٠٠٠،ص٩)** .

والدلالة لغةً : الدلالة بفتح الدال وكسرها وضمها ، وهي الطريق الدال ، والفتح أفصح من ( دلل يدل ) إذا هدي ، وقال أبو عبيدة : الدّليلى من الدلالة . وقال شمر : دلّلت بهذا .. الطريق دلالة ونجد لهذه اللفظة ظهور في القرآن ، بقوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ (طه/١٢٠)**(الجرجاني ، د.ت ،ص٨٢)** بمعنى الارشاد والتوجيه .

أما مضمون الدلالة في الاصطلاح فهي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الاول هو الدّال ، والثاني هو المدلول **(احمد مختار عمر،١٩٩٨،ص٧٩)** .

وفي معنى التحول لغة يأتي بمعنى التنقل من موضعٍ الى موضع ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (الكهف/١٠٨) .. والتحول ايضاً : الاحتيال من الحيلة .. واحال الرجل بمعنى اتى بالمحال وتكلم به **(محمد بن ابي بكر الرازي،١٩٨٦، ص١٢٥)**

وعملية التحول في الأدب تأتي بمعنى انعطاف مباغت في الموضوع ، أو النص ، أو الشخصية الرئيسية والذي من شأنه أن يغير مسار النص ، الذي سيفاجأ به المستمع أو المشاهد ... وتكمن براعة الأديب في هذا التحول المفاجئ ، اذ قد يبلغ القمة الفنية في الاداء **(محمد التونجي ، ١٩٩٩ ، ص٢٣٣-٢٣٤)** .

وايضاً يأتي التحول بمعناه العام بمعنى انتقال مجموعة من القيم والمفاهيم الفكرية والادبية من طابع معين الى آخر يخالف السمة الغالبة على الطابع الاول **(سمير سعيد حجازي ، د.ت ، ص٢٠٣)** .

فالسمات او العلامات المميزة التي اتصفت بها مظاهر التحضر المديني كان لها الأثر الواضح في الانعطاف الدلالي سواءً على مستوى الشكل ام المضمون الذي المَّ بمنظوم شعر الغزل في العصر الاموي ، مما شكل ظاهرة ادبية بارزة على مستوى البنية الكلية للغرض الشعري ، وعليه فان التصور القائم على ثبوت تحقق الصيرورة الوظيفية للمنظوم التشبيبي على المستوى الدلالي في جانبيه الظاهر والباطن ، انما مرجعه الى الاسهامات والتأثيرات الحضرية للمدينة كعامل اساسي حتمي في هذا الجانب .

**الغزل في الشعر الاموي ومآل ارساليات التواصل الحضري في تحوله الدلالي :**

الغزل هو نوع من أنواع الأدب الوجداني يعبر به عن الاحاسيس في مجالات الحب لا أدب وصفي يرسم المظاهر الخارجية ، إنه استحضار لماضٍ سعيد ،او شقي ترك في العين دمعة وفي القلب لهفة **(جورج غريب،د.ت،ص٩)** .

يعد الغزل من أجمل الفنون الشعرية، وأصدقها؛ لأنه يعبر عما في قلوب المحبين ومشاعرهم، وقد نشأ الغزل مع وجود الانسان **(عفيف نايف حاطوم،١٩٩٩،ص٥)**

عاش الانسان قديماً في بيئة كانت عبارة عن صحراء ،وخيمة، وفرس ، و هي كل ما يملكه العربي من ثروة ، ومن صفات الصحراء الجدب ، والإمحال ، وهذا بطبيعة الحال قد يخلق في قلوب الناس شوقاً ،وانتظاراً لموسم المطر الذي يعمل على إحياء الأرض، ويتسبب بجمالها ، و كان العرب قديماً يسمون المطر بصانع الجمال؛ لأنه عندما يهطل تكتسي الأرض بلونها الأخضر ، وتجتمع القبائل العربية بالقرب من المراعي، وينتشر الجمال متمثلاً بفتيات تلك القبائل ، وقد تغزل الشاعر القديم بالمرأة ، وكان يستوحي غزله من جمال بيئته إذ راح يشبهها بالروضة التي تتساقط عليها الأمطار ، ويكثر عشبها ، وتتفتح أزهارها ، ويفوح عبيرها ، أو أنه يشبه المرأة بالظبية ذات العينين الواسعتين إذ إنَّ غزلهم وتشبيهاتهم كان الشاعر يستوحيها من بيئته ذات الجمال المحدود **(فاطمة بنت عبد الله الشمري،٢٠١٠،ص٢١)** ، فكان تعلقه وجدانياً بالمكان على الرغم من ترحاله المستمر من مكان لآخر، فوقوفه على الأطلال ، وتذكره الحبيبة ما هو إلا ارتباط للشاعر بذلك المكان .

كما في قول النابغة الذبياني: ( البسيط) **(ديوان النابغة الذبياني،١٩٩١،ص٤٧)**

"يـا دارَ مَيَـةَ بالعَـليَـاءِ فَـالسَـنَدِ أقوَتْ وَطالَ عَلَيها سَالِفُ ألأَبَدِ

وَقـفتُ بفيها أُصـيَلاناً أُسـائِـلُهـــا عَيَتْ جَوابَاً وَما بالرَبعِ من أحَدِ

أمسَتَّ خَلَاءً وَأمسَى أهلُها إحتَمَلوا أخنَى عَلَيها الَذي أخنَى عَلى لَبَدِ"

فالغزل ظاهرة ادبية تفرضها البيئة؛ لأن العربي قديماً كان كثير الترحال ، وكان في كل مرة من التنقل يصنع موطناً جديداً ، ويلتقي به بالكثير من الناس ، ثم بعد ذلك يتركه ويرحل إلى موضع غيره تاركاً وراءه العديد من الذكريات إذ كانت الحركة والتنقل تمثل القاعدة التي تقوم عليها حياة البدو من سكان الجزيرة العربية ، و ساعدت البيئة في العصر الجاهلي على إيجاد العديد من الوسائل التي أعتمدها الأنسان البدوي في ملء الفراغ الذي كان يعاني منه ، و من ضمن هذه الوسائل ممارسة الصيد ، ومسامرة الأصدقاء ، وشرب الخمرة، والتغزل بجمال النساء **(فاطمة بنت عبد الله الشمري ،المصدر السابق،ص٢٣)**

وقد اوجز امرؤ القيس هذه الوسائل بقوله: ( الطويل) **(ديوان إمرؤ القيس،٢٠٠٠،ص١٢٥)**

" وأصبحتُ وَدَعتُ الصِبا غيرَ أَنني أُراقبُ خِلّاتٍ من العيشِ أَربعا

فَمِنهُنَ قـوليَ للنُدامى ترفـقـــوا يُداجونَ نُشّاجَاً من الخَمرِ مُترَعا

ومِـنهُنَ رَكـضُ الخيلِ تَرجمُ بالقنا يُبادرنَ سِرباً امناً أن يُفزَّعـــا

ومنهنَ نصُ العِيسَ ، والليلُ شاملُ تُيممُ مَـجهولاً من الارضِ بَلقعا

ومنهُنَ سَوقيَ الخودِ قد بَلّها الندى تُراقبُ مـنظومَ التمائمِ مُرضعـا"

أما في عصر صدر الإسلام، والعصر الأُموي فقد أَملت الطبيعة الحضارية للمجتمع الإسلامي، والأُموي على شعراء الغزل بالتعبير عن عاطفة الحب عند الرجل، والمرأة بطرقٍ حضاريةٍ تتناسب مع طبيعة الحياة لأبناء ذلك المجتمع **(عبد الله التميمي،٢٠١١،ص٤٥)**

وقد يكون الغزل أُهملَ في صدر الإسلام لكنه لم يندثر تماماً إنما بقي موجوداً في بعض الأبيات التقليدية كما في مقدمات القصائد ، وهذا التقليد ربما كان من الصعب على الشعراء التخلي عنه بسهولة ، مثال على ذلك قصيدة البُردة لكعب بن زهير ذات المقدمة الغزلية **(فاطمة بنت عبد الله الشمري ،مصدر سابق،ص٣٢)**

التي يقولُ فيها: ( البسيط) **(ديوان كعب بن زهير ،١٩٩٩،ص١٠٩)** .

"بانتْ سُعادُ قلبي اليوم مَتبولُ مـُتيـمُ أثرهِا لَـمْ يُـفدَ مَـكبولُ

وما سُعادُ غَداةَ البينِ إذ رَحلوا إلا أغنُّ غَضيضَ الطَرفِ مَكحولُ"

فهذه القصيدة تبين أن الإسلام لم يُحرّم الغزل ، لكنه حرّم الفتنة التي تؤدي إلى الفحش في الشعر ، فالدين الجديد عمل على تهذيب الغزل، وتنقيحه عما كان يعتريه في الجاهلية من تعرض للنساء.

أما في العصر الأموي فقد شاع الغزل بصورة كبيرة خصوصاً في الحجاز في حواضرها الثلاثة مكة ، والمدينة، والطائف، و شهدت الحجاز تغيرات قوية من الناحية السياسية والاقتصادية ،والاجتماعية خصوصاً بعد انتقال مركز الحكم من الحجاز الى الشام ، وحدوث طفرة اقتصادية على أرض الحجاز إذ عمدت الدولة الأُموية إلى تعويض الفراغ السياسي الذي خلفه إنتقال الحكم إلى الشام بأرسال الأَموال الطائلة إلى الحجاز ، وكذلك الرقيق الذين جاءوا من بلدان مختلفة حاملين معهم حضارات متنوعة، وثقافات مختلفة، أسهمت في إحداث تغيرات كبيرة في حياة المجتمع العربي ، فتحولت مدن الحجاز ( مكة والمدينة والطائف) إلى حواضر منعمة تعيش حياة مرفهة تختلف عما كانت عليه في صدر الإسلام ، و بدأ تمازج الحضارة العربية بغيرها من الحضارات مما أسهم في تمدن، وتحضر المجتمع الأُموي وتنعمه في معيشته الحضرية المستقرة **(فاطمة بنت عبد الله الشمري ، مصدر سابق،ص٣٦)**

فصارت مدن الحجاز منتجعاً للعوام، ومقصداً لطلبة العلم إذ اشتغل بالعلم أكثر أفراد المجتمع إذ " وجد الشعراء أنفسهم في تلك البيئة، وقد إنصرف معظم الناس عن تأييدهم، والإستماع اليهم، فأتجهوا إلى عواطفهم الذاتية، ومشاعرهم الخاصة يتغنون بها ويعبرون عنها، واتجهوا إلى الغزل؛ لأنه اقرب الأغراض إلى نفوس الشعراء" **(عبد الله الخلف،٢٠٠١، ص٢٤٩)**

انقسم الغزل في العصر الأموي على ثلاثة اقسام ، الغزل العذري ، وشعراؤه جميل بثينة وعروة بن الورد ، وقيس بن ذريح ،والمجنون ، والقسم الثاني هو الغزل الإباحي ، ابرز شعراؤه عمر بن ابي ربيعة ، والقسم الثالث هو الغزل العادي ، الذي يعد استمراراً للغزل القديم المعروف في الجاهلية **(زين الدين زكريا الشيخ،٢٠٠٦،ص١١)**

ويختلف شعر الغزل في العصر الأُموي باختلاف البيئات التي نشأ فيها ، فالحجاز مثلاً كان اغلب سكانه من البدو الرحل الذين نشأوا على الإستقلال ، وهذا الشيء أورثهم عِزةً وأنفةً ، واعتداداً بالنفس ، ولكن هناك قسماً منهم فضل العيش في المدن **(عبد العزيز عتيق ،٢٠٠١،ص٥٥)**

وإهتم أهل هذه المدن بالشعر اهتماماً كبيراً مما أدى إلى شيوع التغني به ، وظهور فنون مستحدثة منها الغزل العذري ، والغزل القصصي ، وكان للثراء الضخم الذي انهال على أهل الحجاز دوراً فعالاً في نقل الحجاز نقلة كبيرة من حال البداوة إلى حال الحضارة إذ اخذت الحجاز بأسباب الحضارة الجديدة ، التي كانت مزيجاً من الحضارات العربية والحضارات الأُخرى التي إتصلت بها ، وتحولت البيئة من القيم الجاهلية القديمة إلى قيم جديدة تصقل النفوس ، وترهف

الحس ، وتذكي العواطف ، وهذا التطور كان سبباً في غلبة شعر الغزل على باقي فنون الشعر لديهم ، فكثر شعر الحب ، والغزل في الحجاز ، ولم يقف الشعراء بشعر الغزل على ما كان عليه في الجاهلية ؛ لأنهم كانوا يقولون الشعر فيمن يحبون ، وفي أغلب الأحيان كانوا يصرحون بأسمائهن **(عبد العزيز عتيق، المصدر السابق،ص٦٠-٦٥)**

مثال ذلك قول عمر بن أبي ربيعة: ( الرمل) **(ديوان عمر بن ابي ربيعة،١٩٩٦،ص١٠٦)**

"ليتَ هِندَاً أنجَزتنا ما تعدْ وشفتْ أنفُسَنا مما تَجدْ

زَعموها سألتْ جاراتِها وتَعدتْ ذاتَ يومٍ تَبتَرَدْ

ولَقد أذكُرُ إذ قلتُ لَها ودموعي فَوقَ خَدي تَطَّرِد

نَحنُ أهلُ ألخيفِ من أهلِ مِنى ما لِمَقتولٍ قَتَلناهُ قَوَّد

قُلتُ أهلاً أنتمُ بُغيتُنا فَتَسَّمينَ فقالتْ أنا هند

كُلَما قُلتُ متى ميعادُنا ضَحِكَتْ هِندٌ وَقالتْ بَعدَ غَد"

أما بيئة نجد ، فقد كان سكانها بدو رُحل يتنقلون داخل الصحراء من مكان إلى آخر وهذا كان سبباً في عدم إستقرار الحياة فيها بل أن حياتهم في أغلب الأحيان كانت قائمةً على الحروب بين القبائل، وكذلك عدم اتصالهم بالأمم المتحضرة خارج حدود الصحراء بعيداً عن ترف المدينة ، وهذه الأسباب جعلت حياة، قبائل نجد تتسم بطابع البداوة ، ولم تحضَ بفرص الحضارة، ونهج الشعراء في نجد نهج الشعر الجاهلي من حيث الصورة والموضوع ،والطريقة ، لكن رغم هذا ظهر نوعاً جديداً من الغزلِ في نجد، وأنتشر فيها، وفي الحجاز، وهو الغزل العذري العفيف الذي اشتهرت به قبيلة بني عُذرة ، وكان الشاعر جميل بن معمر أول من أوضح طريق هذا الغزل، وقد تأثر به شعراء الحجاز وقريش وغيرهم **(عبد العزيز عتيق، المصدر السابق،ص٦٩-٧٢)**

ومن الأمثلة على الغزل العذري في نجد قول جميل بن معمر :**(ديوان جميل بثينة،٨٢٩١،ص٢٢)**

" خَليلَيَ عُوجا اليوم حتى تُسَلِّما على عَذبَةِ الأنياب طَيبةِ النَشرِ

فإنكما إن عُجتُما ليَ ساعةٍ شَكرتُكُما حتى أُغيبَ في قَبري

ألما بِها ثُمَ إشفَعا ليَ وَسَلِّما عَليها سَقاها اللهُ من سائِغَ القَطرِ

وَبُوحا بذكري عِندَ بُثنَةَ وأُنظُرا أترتاحُ يوماً أم تَهشُ إلى ذكري

فإن لم تكن تقطعُ قوى الودّ بيننا ولَم تَنسَ ما اسلَفتُ في سلفَ الدهر

فَسَوف يُرى منها أشتياقٌ ولوعةٌ ببينٍ وغَربٌ من مدامعها يجري"

تغير النص الغزلي في بنائه كثيراً ، وهذا التغيير لم يكن بسبب وجود مرحلة الانقطاع بين النص الجاهلي، والنص الغزلي، بل إنَّ هذا التغير كان بسبب مرحلة التطور الحضري الذي ظهر داخل النص الغزلي بسبب تأثيرات خارجية ، وبسبب هذه التأثيرات استطاعت المدن الأموية أن تتخلص من الطابع البدوي الى حد ما ، و أخذت تنحو منحىً حضارياً فالذوق العام عند البدو يختلف عنه عند الحضر؛ وذلك بسبب الفوارق المادية والمعنوية بين البيئتين ، وإنتقال الإنسان من عصر إلى آخر ، وهذا الانتقال ساعده على تغيير مقومات حياته ،وزيادة معارفه ، وتعميق معانيه، والتأثر بغيره من الأُمم ، وهذه الأمور كلها ساعدت على تطور بنية النص الغزلي ، إذ تحول من نص متعدد الموضوعات إلى نص موحد الموضوع ، وكانت المرأة هي الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله معظم قصائد الغزل **(فاطمة بنت عبد الله الشمري ، مصدر سابق ، ص١٦٤)**

يدل التطور الكبير الذي حدث في شعر الغزل ، بالتخلص من التقليد القديم على التحول الحضاري ، والذي ساهم بدوره على إحداث نقلة كبيرة في حياة المجتمع فالبنية النصية **(حسين عبد الحميد رشوان،٢٠٠٥،ص٦٩)**. تغيرت " بفعل التطور الحضاري، والإجتماعي الذي طرأ على العرب بعد الإسلام ، ونقلهم من البادية إلى الحضارة ، وتغير طبائعهم، وعاداتهم ،وتقاليدهم ، وتطور بعض عناصر البناء الفني للشعر، وتطور الذوق العام ، قد ظهر أثر ذلك واضحاً في بنيتها النصية" **(حسين عبد الحميد رشوان، المصدر نفسه،ص٦٩)** ، فالشعر، والحب يرتبطان ارتباطاً وثيقاً ؛ كونهما من ابرز مقومات الحضارة **(عبد الله حبيب كاظم التميمي، مصدر سابق،ص٣٣)** . تطور الغزل لتطور المجتمع وتحوله من مجتمع بدوي الى مجتمع حضري توفرت له الكثير من اسباب الحضارة ، ومن مظاهر تطور الغزل في الشعر الاموي:

١- ترك المقدمات الطللية: على الرغم من أهمية الطلل عند الشعراء الجاهليين ، ذلك المكان الذي فيه من الذكريات ما يحمل من سابقيه الذين رحلوا بقيةً يقف عليها في كل طلل يخاطبها ، وتخاطبه **(جميل بدوي الزهيري،٢٠٠٤،ص١٣)** ، إذ إنّض العديد من قصائد الغزل الحضري خصوصاً في الحجاز خلت من تلك المقدمة الطللية ، وذكر الديار مما أدى إلى تغير في النص الغزلي، وهذا التغير لم يقتصر على مستوى الإيقاع ، والبصر، بل إنّه تطور على مستوى الموضوع إذ تزحزحت التقاليد القديمة، وحلت بدلاً عنها بنية جديدة تتوافق مع حياة المدينة في العهد الجديد ، وبذلك بدأ ذكر الديار والوقوف عليها يختفي تدريجياً من اشعارهم بانتهاء عهد الخيام، والترحال ، وحلّ محله موضوعات ومقدمات جديدة مثل لوعة الفراق، وشكوى الحب ، وإذا كان عدداً من الشعراء يذكرون الديار **(فاطمة بنت عبد الله الشمري، مصدر سابق ،ص١٦٥)** "فلا معنى لذكر الحضري للديار إلا مجازاً ؛ لأن الحاضرة لا تنسفها الرياح ، ولا يمحوها المطر، إلا أن يكون ذلك بعد زمانٍ طويل" **(ابن رشيق القيرواني،د.ت،ص٢٢٦)**

ومن الأمثلة على ذلك قول أيمن بن خُريم: ( المتقارب)**(ديوان ايمن بن حريم،١٩٩٩،ص٢٥)**

"لَقَيتُ منَ الغَانياتِ العُجَابَا لَو أدرَكَ مني الغَواني الشَبابَا
وَلكِنَّ جَمْعَ العَذارى الحِسَانِ عَـنـاءٌ شَديـدٌ إذا الـمَرءُ شَابَا"

و قول العرجي: ( الطويل) **(ديوان العرجي،١٩٩٨،ص٢٦٨)**

"ألا قاتلَ اللهُ الهوى كيفَ أَخلَقا ولَـم تَـلقَـهُ إلا مَشوبـاً مُمَـذَّقا
وما مِن حَبـيـبٍ يَستَزيـدُ حَبيبَهُ يُـعـاتِبُـهُ في أَلـودِ إلا تَـفَـرُّقـا
أَمرَّ وصالُ الغانياتِ فأصبَحت فَضاعتُها يَشجى بها من تَمطَـقا
تَعلقَ هذا القلـبُ للحـينِ مَعَلَقاً غَـزالاً تَحـلّى عِقـدَ دُرٍّ ويـارِقـا
منَ الأُذمِ يعطوا بالعَشي وَبالضُحى من الضالِ غُصناً ناعِمَ النَبت مُورِقا"

وقول ابن قيس الُرُقيات: ( المنسرح) **(ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات،١٩٩٥،ص٧٨)**

"هَل بإدّكارِ الحَبيبِ من حَرَجِ أم هَل لِهَمّ الفُؤادِ من فَـرَجِ
أم كَيفَ أنسى مَسيرُنا حُرُماً يَومَ حَللَنا بالنَخلِ من أَمَـجِ
يَومَ يقولُ الرَسولُ: قَد أَذِنَتْ فأتِ على غَيرِ رَقبَةٍ فَلَجِ"

هذه النصوص تدل على أن الشاعر الحضري هجر الوقوف على الأطلال؛ لبعدها عن البيئة المتحضرة المتمثلة بالمدينة ، واستبدل الطلل بتصوير ما كان يعانيه من ألم الحب وفراق الحبيبة ، فالشاعر لا يُخبر عن الطلل البالي ، ولكنه يتحدث عن الجسد الذي بُليَ بسبب الحنين، والشوقِ لحبيبتهِ، فلو أردنا أن نقيم موازنة بسيطة بين المعاني اللغوية التي استعملها شعراء البادية ، وشعراء المدينة لوجدنا الفاظ التحضر حاضرة في أشعارهم إذ أخذ شعراء العصر الأموي ينسجون

أشعارهم باتجاه استحضار الألفاظ الدالة على التحضر ؛ ليحافظوا على قيمتها الدلالية ، فتظهر محصلة أشعارهم ترفل بالإحساس الفني الكفيل بديمومة بقاء تأثيرها في المتلقي.

**٢- المراسلات، والرسائل ( الرسائل الشعرية)**

من مظاهر الحضارة التي ظهرت في المدن الأُموية هي التخلص من الأُمية وتعلم القراءة، والكتابة من قبل أفراد المجتمع الأُموي ، وهذا أَدى إلى تبادل الرسائل بينهم ، وهذه الظاهرة كانت موجودة في نصوصهم الغزلية إذ راح الشاعر يكتب القصيدة على طريقة الرسالة ، وهذه الظاهرة لم تكن موجودة في حياة البادية مما يدل على التغير الحضاري الذي حدث في المدن الأُموية ، وقد استغل الشاعر طريقة الرسائل للتواصل مع محبوبته ، إذ إنَّه يرسل لها مكتوباً فتقوم هي الأُخرى بالرد عليه ، وقد تكون المراسلة ليست عن طريق الرسائل المكتوبة ، وإنما عن طريق الرُسل ، وقد يكون الرسول إحدى الجواري، أو الخدم ، وهذه الميزة الجديدة هي وليدة التمدن الذي كان يعيشه الشاعر ، وقد عبر عنها في العديد من النصوص الشعرية الغزلية **(عبد الله حبيب كاظم التميمي، مصدر سابق ، ص٧٢)**

مثال ذلك قول عمر بن ابي ربيعة: ( الكامل) **(ديوان عمر بن ابي ربيعة، مصدر سابق ، ص٣٣)**

"باسمِ الإلـهِ تَـحيَـةٌ لِـمُتَيمِ ... تُهدى الى حَسِنَ القَوامِ مُكَرَّمِ

وَصَحيفَةٌ ضَمَنتُها بـأمانةٍ ... عـندَ الرَحيلِ اَليكِ أُمَ الهَيثَمِ

فيها التَحيَةُ وَالسِلامُ وَرَحمةٌ ... خَفَ الدُموعُ كِتابُها بالمُعجَمِ

من عاشِقٍ كَلِفٍ يبوءُ بذَنبهِ ... صَبَّ الفؤادِ مُعاقبٍ لَم يَظلَمِ

بادي لصَبابَةَ قَد ذَهَبتِ بعقلهِ ... كَـلِفٍ بـحُبكِ يا عُثَيمَ مُتَيمِ"

نلحظ أن هذا المقطع الشعري يأخذ شكل الرسالة المألوفة فهو يبدأ بالبسملة ، وتحديد المرسل اليه ( ام الهيثم) ، ثم يذكر نفسه ( المرسل)، ويبين عفته ، وهيامه بمن يحب.

كذلك قوله في مراسلته للثُريا بعد أن تزوجت غيره ، وذهبت إلى مصر ، وكان الشاعر في اليمن ، وعندما رجع ذهب الى المدينة فكتب اليها: ( الوافر)**(ديوان عمر بن ابي ربيعة ، المصدر نفسه،ص١١٦)** .

"كَتَبتُ إلَيكِ من بَلَدي ... كِـتابَ مُولَّهٍ كَـمِـدِ

كَئيبٍ واكِفَ العَينيـ ... ـنِ بـالحَسراتِ مُنفَرِدِ

يُـؤَرِقُـهُ لَيبُ ألشَو ... قِ بَينَ السَّحرِ وَالكَبَدِ

فَـيُمْسِكُ قَلبَهُ بِيَدٍ ... وَيـمَسَحُ عَـينُـهُ بيَدِ"

وقد أجابته الثرُيا شعراً إذ أشار عمر إلى جوابها بقولهِ: ( الطويل)**(المصدر نفسه ،ص١٩٧)**

" أَتاني كِتابٌ لَمْ يَرَ النأسُ مِثلَهُ ... أُمَدَّ بِكافورٍ وَمسكٍ وَعنبَرِ

كـتـابٌ بِسُكٍّ حَـالكٍ وَبِصُفرَةٍ ... وَمسكٍ صُهابيٍّ يُعَلُّ بِمجمرَ

وَقِـرطاسُهُ قُـوهـيَّةٌ وَرِبـاطُهُ ... بَعَقدٍ من الَياقوتِ صافٍ وجَوهَرِ

وفي جَوفهِ مني اليَكَ تَحيةٌ ... فقد طالَ تَهيامِي بِـكُم وَتَـذَكُري

وعُنوانهُ من مُستَهامٍ فُؤادُهُ ... الى هائمٍ صَبٍ من الوَجدِ مُشعَرِ"

كذلك قول ابن قيس الرقيات: ( الخفيف)**(ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، مصدر سابق ، ص١٤٤)**

" قَد أَتَانا مِن آلِ سُعدى رَسُولُ حَبَّذا ما تَقُولُ لي وَأَقــولُ

مِـن فَـتاةٍ كَـأنها قَـرنُ شَمسٍ ضـاقَ عَنها دَمالجٌ وَحُجُولُ

حَـبَّـذا لَيلَتي بِـمـزَّةِ كَــلـبٍ غالَ عَنّي فيها الكَوانينَ غُولُ"

فهذه النماذج من الرسائل الشعرية الغزلية تدل على مفهوم حضاري جديد، فقد حلت محل الأطلال في استثارة مشاعره ، وإطلاق زفرات الحنين، فالشاعر يتألم كلما يقرأ رسالة من حبيبته التي فارقها وابتعد عنها، ولم يبقَ منها سوى هذه الرسائل التي تجدد في نفسه الحنين والذكريات ، وهكذا أصبحت الرسائل في العالم المتمدن بديلاً عن الأطلال في العالم البدوي **(عبد الله حبيب كاظم التميمي، مصدر سابق ، ص١٧١)** .

٣ – ذكر الأسماء، والنساء: إذ تعدد ذكر الأسماء النسائية في نصوص شعر الغزل الحضري ، فراح الشاعر يذكر اسم امرأة، أو كنيتها ، أو أكثر من كنية في كل نص شعري ، وفي بعض الأحيان يذكر أكثر من أسم في نص واحد ؛ لأن من السمات المهمة لشعر الغزل هو عدم ثبات الشعراء على امرأة واحدة ، بل إنّهم كانوا يكثرون من تعدد الأسماء في قصائدهم ؛ والسبب في هذا هو أن العديد من المدن الاموية وخصوصاً الحجاز كانت تعج بالعديد من الجواري من مختلف الأجناس ، وأن ثقافة المجتمع لم تكن مبنية على وجود امرأة واحدة فقط لكل رجل، بل أنه كان يُعدد في الزواج ، ويمتلك من الجواري اعداداً كبيرة ، وهذا كان سبباً في التوافق بين بنية النص الشعري، وبين ثقافة المجتمع **(المصدر نفسه، ص١٣٧)** ومثال على ذلك قول عروة بن أُذينة:(الكامل) **(شعر عروة بن اذينة،١٩٨١،ص٣٧٤)**

" بيضٌ نَواعمُ ما هَمَمنَ بريبةٍ كَـظـباءِ مَـكَّةَ صَيدُهُنَّ حَرامُ

يُحسَبنَ من لينِ الكلامِ زَوانياً وَيَصدُّهُنَّ عَن الخَنـا الإسلامُ "

كذلك قول ابن قيس الرقيات: ( الطويل) **(ديوان عبد الله بن قيس الرقيات، مصدر سابق،ص٢٦)**

"ألا أيُها القَلبُ اللجوجُ المُعَذَّبُ عَلامَ الصِبا والغَيُّ والرأسُ أَشيَبُ

طَـرَبـتُ لِتَغريـدِ الحَمـامَ وَرُبَما صَبَوتُ وَقَد يَهفوا الكَريمَ فيَطرِبُ

ألا إنـما لَـيلى مَهـاةٌ غَريرةٌ وسَعـدةُ في أترابها البَيضُ رَبرَبُ

وَسَلامةُ الكُبرى غَديرٌ وَرَوضةٌ وَسلامةُ الصُغرى غَزالٌ مُرَبَبُ"

فهذه التعددية في الأسماء ،والكُنى للنساء ظهرت بفعل تأثير المدينة، ومظاهر التحضر في المدن الأموية ، ولم يكن لها أي أثر في الغزل البدوي، فضلاً عن إستغلال الشاعر للقدرة التوليدية للأنساق اللغوية ، وتأقلمها مع أي بيئة نصية مستوحاة من وعي الشاعر ، وخياله ، وتصوراته النفسية والعاطفية **(وسن صادق و جميل بدوي،٢٠٢٠،ص١٣)**

٤– الحس المُرهف مع الآخرين: اهتم الشاعر الأُموي في موضوع الغزل اهتماماً خاصاً بمشاعر المرأة ، وصور لنا احاسيسها حين تحب وتشتاق ، وكذلك رسم معاناتها مع هذا الحب ، وعمل الشاعر على شرح نفسيتها ، وتصوير مظاهر القبول والغضب لديها وهذه الظاهرة تعد جديدة على خلاف الشاعر الجاهلي الذي كان يصور مشاعره فقط في النص الشعري، فقد اتخذ الشاعر الحضري وسيلة حديثة للتعبير عن مشاعر المرأة وهذه الوسيلة هي قالب القصص والحوار التي أمتاز بها الغزل الحضري ، وهذه القوالب ظهرت في ظل الحضارة الاسلامية التي عملت على اعلاء منزلة المرأة عما كانت عليه في العصور السابقة ، إذ أصبح للمرأة في ظل هذه الحضارة مكانة عالية في المجتمع فضلا عن المكانة المادية

المكتسبة بسبب ما توافر من مظاهر ثراء في المدن الأُموية وهذه الأمور جعلت المرأة تحتلُ مكاناً مهماً في المجتمع ، وعليه عند الشاعر إضافة الى ما يُحدثه التحضر في النفس من رقةٍ في الإحساس، ولين في التعامل مع الآخرين **(عبد الله حبيب كاظم التميمي، مصدر سابق،ص١٧٦)**

ونلمس عناية العرجي في قوله: ( الطويل) **(ديوان العرجي، مصدر سابق ،ص٢٣٧)**

"فما أنسَ ما الأَشياءُ لا أنسَ مَجلِساً لَنا وَلَها بالسَفحِ دونَ ثَبِيرِ

ولا قَولُها وَهناً وقد بَلَ نَحرُها سَوابَقَ دَمعٍ ما يَجِفُ غَزيرِ

أأنتَ الذي حُدِثتُ أَنكَ رَاحلٌ غَداةَ غَدٍ أو رائحٌ بهَجيرِ

فقلتٌ يَسيرٌ بعضُ يومٍ أُغيبهُ وما بَعضُ يَومٍ غَيبتهِ بيَسيرِ

أحينَ عَصيتُ العاذليَنَ اليكُمُ وَنازَعَ حَبليَ في هَواكِ اميري

فقُلتُ لها قول إمرَءٍ شَفهُ الهَوى إليهَا وَلَو طَالَ الزمانُ فقيرِ"

النظرة المادية للمرأة ، التي كانت واضحة في الشعر الجاهلي فالمرأة لم تعد عبارة عن جسد يتغزل ويتغنى به الشعراء ، بل أصبحت الطرف الآخر من المعادلة ،ولها من المكانة المهمة في قلب الشاعر، وهذه التغيرات حدثت بسبب التطور والانقلاب الحضاري ، والانتقال من البادية إلى المدينة ، الذي بدوره جعل للمرأة شأناً كبيراً ومكانةً مهمة **(عبد الله حبيب كاظم التميمي، مصدر سابق،ص١٧٧)**

٥- لغة الحياة اليومية وظهورها في شعر الغزل: برزت في شعر الغزل بصورة واضحة إذ جاءت الألفاظ عذبة ،وسائغة ، والمعاني كانت واضحة لا يكتنفها الغموض ، وإنَّ أهم ما تميزت به لغة النص الشعري في المدينة هي أنها لغة مألوفة، ومفهومة للسامع والقارئ، وهذا دليل على استعمال الشاعر لغة الحياة اليومية ، كما أن غرض الغزل يحتاج إلى لغة رقيقة عذبة ، وألفاظ لطيفة تتناسب مع إحساس الشاعر في تعبيره عن الحب ،والغزل ، ومن المظاهر الجديدة التي ظهرت في شعر الغزل هو أن النص الغزلي طبع بطابع قصصي ، وهذا أيضاً يتطلب من الشاعر أن يستعمل لغة الحياة اليومية ،والابتعاد عن الألفاظ الخشنة التي كانت تستعمل في البداوة إلا ما ندر ، فقد أكسبهم جو المدن، ولين الحياة لينا في الألفاظ وأعطاهم رقة في الحضارة ، وفي الأساليب **(المصدر نفسه،ص١٧٩)** .

مثال ذلك قول وضاح اليمن: ( السريع) **(ديوان وضاح اليمن،١٩٩٦،ص٤٧)**

"قَالَتْ: ألا تَلجنَّ دارَنا إنَّ أبَانا رَجُلٌ غائِرُ

أمَا رَأيتَ البَابَ دُونَنَا قُلتُ فَأنني وَاثِبٌ ظَافر

قَالَت: فإنَّ القَصرَ من دُننا قُلتُ: فَأنني فَوقَهُ ظَاهِر

قَالَت: فأنَّ اللَيثَ غَادٍ به قُلتُ : فَسَيفي مُرهَفٌ بَاتِر

قَالَتْ: فَهذا البَحرُ من دُوننا قُلتُ : فأني سَابحٌ مَاهر

قَالَتْ: أَلَيسَ اللهُ من فَوقِنا قُلتُ : بَلى وَهوَ لَنا غافِر"

فهذه الرقة في الألفاظ ، والعذوبة الجميلة، والسهولة التي يمتاز بها كلها مأخوذة من لغة الحياة اليومية في ذلك العصر.

الغزل في العصر الأُموي قسم على ثلاثة أقسام هي الغزل العذري ، والغزل العمري والغزل التقليدي:

**الغزل العذري:** يعبر عن وضع فئة من المسلمين ، وهذه الفئة كانت تتحرج من الغزل، والحب، وتتبع مذهب التقي، وكانت تفضل السلامة، والعافية على المقامرة والمخاطرة ،وترى أن النفس أمارة بالسوء، وأنّ النار قد حفت بالشهوات ، وأنه من الأفضل لها أن تصبر؛ لذلك ارتأت هذه الفئة أن تترك الشهوات فكانت خير من يمثل التعاليم، والتربية الدينية، فالظروف التي نشأ فيها الغزل العذري كانت مناسبة من حيث البيئة ،واجوائها ، ولم يكن من الممكن أنّ يظهر هذا الغزل بقدسيته، وطهارته قبل عصر بني أُمية ، فلم يكن من الممكن أن يظهر في عصر الخلفاء الراشدين ؛ لأن الغزل العذري يجب أن يكون أثراً لتربية جيل جديد تربية صادقة هذا من جانب، ومن جانب آخر يجب أن يكون هذا الغزل له أثراً لنوع من الحياة الاجتماعية تعرف الاستقرار وتساعد عليه ، وهذان الأمران لم يتوافرا معاً إلا في عصر بني أمية ؛ لذلك فقد كانت الظروف مناسبة لولادة هذا النوع من الغزل خصوصاً **(شكري فيصل،١٩٥٩،ص٢٣٢)** ، "بعد ان همدت ريح الفتوح ، وانقلبت هذه الفتوح من عمل جماعي يتدفق من كل ارض الجزيرة ، ويتجمع في هذه التيارات كالينابيع الصغيرة التي تتفجر من هنا، وهناك ، لتلتئم بعد ذلك في الجدول لكبير إلى عمل حكومي تنظمه الدولة، وتشرف عليه" **(شكري فيصل، المصدر السابق، ص٢٣٥)**

وعلى هذا الأساس يمكن القول إنَّ ولادة الغزل العذري لم تكن حادثة ذات تاريخ محدد ، بل إنّها شيء اصطلحت عليه بعض الظواهر العاطفية ، والدينية، والاجتماعية ثم صاغته هذه الصياغة الفنية ، وقد نما هذا الغزل، وترعرع في العصر الأُموي ، والغزل العذري هو" التعبير الفني الشعري عن الحب" **(المصدر نفسه،ص٢٣٦)** .

ويعد جميل بثينة أبرز شعراء الغزل العذري ، ومن ذلك قوله : **(ديوان جميل بثينة، مصدر سابق،ص٣٦)**

" لَقَد فَرِحَ الواشونَ إن صَرِمت حَبلي بُثَينةُ او أبدتْ لَنا جَانِبَ البُخلِ

يقـولـونَ مَـهلاً يا جَـميـلُ وإنني لأُقسِمُ مـالـي عَن بُثَينةُ من مَهلِ

أحُـلمـاً؟ فـقَبلَ الـيومَ كانَ أوانهُ أم أخشى؟ فقبلَ اليوَم أُوعدتُ بالقَتلِ

إذا مـا تَراجَـعـنا الذي كان بيننا جرى الدَمعُ من عَينَي بُثينةَ بالكُحلِ

ولو تَرَكَتْ عَقلي مَعي ما طَلَبتُها ولكن طِلابُيها لِما فاتَ من عَقلي"

من خلال هذا النص ، والنصوص الأخرى التي لم نذكرها للإختصار نستطيع أن نوجز الطوابع العامة للغزل العذري وهي:

المعاني : إذ إنّها كانت بسيطة وفطرية .

الصدق: فالشاعر كان صادقاً، وامیناً فيما ينقله الينا من خلال شعره.

وحدة الغرض ووحدة الإتجاه : التي غلبت على شعر الغزل العذري، وكذلك الأسلوب المباشر، والعفة **(شكري فيصل، مصدر سابق،ص٢٧٤-٢٧٨)**

فالغزل في العصر الأُموي يمتلك من الخصائص، والصفات ما تجعله مميزاً عن الغزل في الجاهلية، وإنّ خصائص الغزل الجاهلي كلها تختفي، وتضمحل في الغزل الأُموي، وخصوصاً الغزل العذري؛ لأنه غزل جديد فيه سمو، وعاطفة ، وعفة، وطهارة ولا وجود فيه لوصف الأطلال ؛ لأن الأطلال كانت السبيل الذي يتخذه الشاعر الجاهلي ليتذكر أحبته ، أما الشاعر العذري فلم يكن بحاجة إلى من يذكره بأحبته ؛ لأنهم كانوا يعيشون معه ،ويعيش بهم ، كذلك لا نجد ذكر الإرتحال في الشعر العذري، ولا وصف للقاء ؛ إذ ليس في الحب العذري لقاء ، وإنّ اللقاء الذي حظي به العذريون كان لقاءً خائفاً، وحذراً، ولم يكن مفرداً، إذ اختفى في الغزل العذري الكثير من مظاهر الغزل الجاهلي ،وظهر شيء جديد فالغزل العذري

تطور، وسار مع الحياة في طريق جديد وهذا كان بسبب ما اضفته المدينة على حياة الشاعر **(شكري فيصل، مصدر سابق،ص٢٨٢)**

الغزل العمري: وهذا الغزل ينسب إلى عمر بن أبي ربيعة ؛ لأنه يعد قائد الشعراء العمريين الذي مهد الطريق أمامهم ، فقد عاش الشاعر معظم الأحداث التي مرت في العصر الأُموي السياسية، والاجتماعية، والأدبية ، التي أثرت على شعره الغزلي بصورة واضحة ، وقد اتخذ غزله طريقين مختلفين فمرة نجده غزلاً صرفاً ، ومرة اخرى نجده غزلاً تختلج فيه السياسة؛ بسبب ما شهده هذا العصر من نشاط سياسي كبير، وإن الأحداث السياسية ، والاجتماعية هي التي دفعت الشعر في المدن الأُموية أن يتخذ طوابع مختلفة ففي الشام برز شعر الفرزدق ، والأخطل، وجرير ، وفي الحجاز كان الشعر لابن قيس الرقيات ، أو عمر ، وأنّ عمر لم يكن بعيداً عن السياسة ، واغلب شعره الغزلي كان انعكاساً للحياة السياسية**(المصدر نفسه، ص٣١١-٣١٥)** .

وقد تهيأت للشاعر العديد من الأسباب التي جعلته يتصدر الشعراء في موضوع الغزل" فقد اجتمع لعمر فراغ ،وشباب، وجدة ، وكان عمر من روايات الأغاني يحرص على الاستفادة من التقاء الناس في مواسم الحج ، وإنثيالهم على الحجاز من العراق واليمن، والشام ، وإن عمر كان ايام الحج يُقدم فيعتمر في ذي القعدة، ويحل، ويلبس تلك الحلل ،والوشي ....ويلقى العراقيات ... ويلتقي بالمدنيات ، ويتلقى الشاميات" **(نفسه،ص٣١٥)**

وكان يقول في ذلك: ( الطويل) **(ديوان عمر بن ابي ربيعة، مصدر سابق ،ص٣٨)**

" فَلَم أَرَ كَالتَجميرِ مَنظَرَ ناظِرٍ ولا كَلياليَ الحَجِ أفلَتَنَّ ذا هوى"

ويروى أنّ عمر كان يتمنى لو كانت أيام السنة كلها حَجاً ،وإعتماراً كما ذكر ذلك في قوله: (الخفيف) **(المصدر نفسه ، ١٦٧)**

"أَيُها الـرَّائحُ الـمُجِدُّ إبـتكارا قَد قَضى من تِهامَةَ الأَوْطارا

فَمن يَكُن قَلبهُ صَحيحاً سَليماً فَفؤادي بالخَيفِ أمسى مُعارا

ليتَ ذا الحَجَّ كانَ حَتماً عَليَنا كُلَّ شَهرَينِ حُجَةً وإعتمَارا "

فقد امتاز شعره بغلبة الطابع الحضري المتمدن، وغياب الأطلال في قصائده ، كذلك نلحظ اللغة اليسيرة اللينة التي تحدث بها ، والابتعاد عن الألفاظ الخشنة التي قد تُفسد الغزل ، وايضاً نجد طابع الحضارة واضحاً في المعاني التي استعملها الشاعر في الغزل ، والموسيقى الخفيفة التي كانت تكسو الأبيات " فالإيقاع الذي ينبع منه النص مدني المعالم حضري السمات ، وأنّ المشاهد التي تكسوه ، والوقائع التي فيه ، والألوان التي يصطبغ بها، والخيوط لتي يُنسجُ فيها حضرية كذلك" **(شكري فيصل، مصدر سابق،ص٣٥٧)**

وتميز الغزل العمري نتيجة للطابع المدني بتعدد النساء فيه فلا تبدوا المرأة التي يقصدها الشاعر هي وحدها ؛ بل أنه كان يقصدها وهي في موكب من النساء ، لكنها تميزت عنهن بأنها كانت اشدُّهنَ القاً واسطعهن لوناً فهي تمثل مركز الدائرة ،وواسطة العقد، وقد برزت مدنية النصوص الغزلية في شعر عمر بن أبي ربيعة بصورة واضحة إذ تمثلت مظاهر المدنية عنده في حصانهِ الأغر ، وسيفهِ ذو الأثر، وثيابهِ المعطرة ، وهو بشعره يُلم بكل ما شهدته حياة المدينة ،والحضر من عطرٍ وزهرٍ ونبات **(المصدر نفسه،ص٤٠٣)** "وقد يُكدسهُ بعضه فوق بعض في البيت ،أو البيتين دونما رعاية، ولو أننا جمعنا كل الذي قاله عمر في ذلك لكان لنا قائمة بالذي كانت تحوي دكاكين العطارين في مكة والمدينة" **(نفسه،ص٤٠٤)**

ونقف على قوله في وصف ريق الحبيبة الذي أشاع لوناً من العاطفة حول صورة المرأة التي أراد ترسيمها في ذهن المتلقي: ( البسيط) **(ديوان عمر بن ابي ربيعة، مصدر سابق،ص١٣٦)**

"فَبتُ أُسقى عَتيقَ الخَمرِ خالطهُ شَهدُ مَشارٍ وَمِسكٌ خالِصٌ ذَفِرُ

وَعنبرُ الهِندِ والـكافورَ خالطهُ قُـرُنفـلٌ فـوقَ رَقراقٍ له أُشُرُ"

حرص الشاعر على ذكر المظاهر الحضرية ، والمدنية في وصفه للنساء، مما أعطى للشعر كثافة موسيقية تتلاءم مع حالته النفسية إذ سلك الشاعر مظاهر عديدة للتجديد منها وحدة الغرض إذ اقتصر شعره على الغزل وحده دون النظر إلى الأغراض الاخرى ، كذلك وحدة القصيدة فقد جنب عمر القصيدة التعدد في الموضوعات وقد استطاع تحقيق اشياء كثيرة في حياة الشعر حيث ساهم في نقل الشعر من المفهوم القديم في التجويد والتقليد إلى مفهوم جديد في اللهو والانصراف عن الصناعة الفنية المتكلفة، كذلك ساهم غزله في نقل الغزل من الإخبار الجاف، والضيق إلى القصص الغزلي وهذه الإنتقالة حدثت بفعل تأثير المدينة على الشاعر، وبالتالي انعكس هذا التأثير على الشعر **(شكري فيصل، مصدر سابق،ص٤٩٢)**

الغزل التقليدي: هذا الغزل كان تقليدياً لما موجود في العصر الجاهلي، وسمي بهذا الاسم ؛ لأنه نقل تقاليد من شعراء العصر الجاهلي، ومن أبرز شعراءه جرير، والفرزدق حيث كان شعراء هذا الغزل يقولون بالاستجابة لتقاليد القصيدة العربية، ولا يوجد جديد في هذا الشعر ، واغلب الغزل التقليدي جاء في النسيب، وفي الأغراض الأُخرى التي سار عليها الشاعر الجاهلي حتى في الألفاظ التي كان يقولها **(روان مخيبر،٢٠٢٣، صفحة الكترونية)**

**الغزل الكيدي** : ظهر هذا النوع من الغزل بصورة بارزة في العصر الأُموي، وقد تأثر بالأحداث السياسية، والانقلابات التي حدثت في المدن الأُموية ، وكان للباحثين والدارسين آراءٌ عدة في هذا النوع من الغزل حول تسميته فتارة يطلقون عليه الغزل الهجائي، أو الغزل السياسي ،أو الغزل الكيدي ،أو الغزل الصناعي، وكان طه حسين أول من أطلق عليه الغزل الهجائي عند حديثه عن الشاعر ابن قيس الرقيات إذ يقول: **(علي جاد الحق سعيد ،٢٠٠٦،ص٢٣٧)**

"وكان يتغزل حيناً آخرا لا للهوٍ، ولا لوصف حب صادق ، بل ليعبث بخصومه السياسيين إذ يذكر نساءهم بما يحن ، وبما لا يحن ، وكان يتخذ النساء وسيلة لحرب الرجال فكان يحرص الحرص كله على أن لا يؤذيهن ، أو يذيع بينهن الفاحشة كذباً وزوراً بل كان يمضي لأبعد من هذا ، كان يريد أن يتحلق هؤلاء النساء ، وأن يرضيهن عن نفسه، وأن يحبب اليهن هذا الغزل الهجائي الذي كان يسوء أزواجهن، وأبنائهن وعصبتهن بوجه عام" **(طه حسين ،١٩٧٦،ص١٢٧)**

ويقول الدكتور يوسف خليف" ولم يكتفِ ابن قيس الرقيات .. انتصار القضية السياسية لهذا اللون من الشعر السياسي الخالص، وإنما إتجه إلى آخر، وهو الغزل السياسي الذي يتخذ من الغزل وسيلة لخدمة هذه القضية" **(يوسف خليف، ١٩٧٦، ص١٢٧)**

وهذا اللون من الغزل بلغ ذروته في العصر الأُموي فهو لم يكن وليد هذا العصر، وإنما ظهرت بوادره أواخر العصر الجاهلي، ولما جاء الإسلام توارى هذا الغزل ، ويكاد يكون ابن قيس الرقيات هو من بعثه مجدداً، ويعد هذا اللون من الغزل من الألوان الفنية التي استحدثها الشعراء المسلمون **(طه حسين، المصدر السابق ، ص٢٤٧)**

يقول الدكتور احمد شوقي" كان في أُخريات العصر الجاهلي ضرب من الغزل تُقدَم به قصائد الفخر، والهجاء ، وهو غزل تمهيدي يصطنعه الشاعر في شريفة من شريفات خصومه، وخصوم قومه ، لا عن حب، وعاطفة بل عن تصنع،

وتكلف، وادعاء يريد أن يغيظهم، ويشهر بهم، وهذا الضرب من الغزل الهجائي هو الذي سميته بالغزل الكيدي" **(احمد محمد الحوفي ، ١٩٦٥،ص٢٩٧)**

ونقف عند قول ابن قيس الرقيات متغزلاً بعاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وزوجة عبد الملك بن مروان ، ويظهر حبه ، وعشقه لها فيقول : ( الكامل) **(ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، ١٩٧٠،ص١٢٨)**

"اعاتِكَ بنتَ العَبشَميَّةِ عاتِكا أثيبي إمرَأً أمسَى بحُبّكِ هالِكا

بَـدَتْ لي في أترابِها فَقَتَلنَني كَذلِكَ يَقتُلنَ الرِجالَ كَـذالـــــكِا

أذا غَفَلَتْ عَنَّا العُيونُ الَّتي تَرى سَلَكنَ بنا حيثُ إشتَهَينَ المَسالِكا

وَقالَتْ لَو أَنا نَستَطيعُ لـزَارَكُم طَـبيبَانِ مِـنا عَـالِمانِ بِـدائِكا

ولكنَ قَومي أحدَثوا بَعدَ عَهدِنا وعَـهـدِكَ اضغاناً كَلِفنَ بِشانِكا

فـمن مُـبلِغٌ عني خَليليَ ايةً عُـيـينـةَ اعـني بـالعـراقِ ومالِكا

فَهل من طَبيبٍ بالعراقِ لِعلَةٍ يُـداوي كَـريماً هالِـكاً مُـتهالِكا"

مما تقدم من كلام حول شعر الغزل يتضح لنا تأثير المدينة في شعر الغزل في العصر الأُموي ، والذي كان للإسلام فيه دورٌ كبيرٌ ؛ إذ إنّه كان سبباً في أن يأخذ العرب بزمام الحضارة في مختلف الاتجاهات ، وهذا كان سبباً في ظهور الترف ، والتنعم لديهم ، واخذوا يميلون الى اللهو في حياتهم ، وكان الشعُر في مقدمة الفنون التي اتخذوها في حياتهم ، وبالخصوص شعراء الغزل إذ صار الغزل غرضاً مستقلاً ، وقد ظهر في شعر الغزل العديد من مظاهر المدنية ، والتمدن مثل (الرسول والرسل) هذه الظاهرة التي تحولت إلى طابع عام بين العشاق ؛ بسبب التطور الذي حدث في المجتمع ، ومن المظاهر المهمة كذلك ، إنهم وثقوا كل ما يحيط بالمرأة المتحضرة من مظاهر التحضر المادية التي تمثلت في نظرتهم الحسية الجمالية للمرأة من حيث إنّها كانت تتخذ أغلى أنواع الملابس، واجملها ، وتتخذ الحُلي، والزينة ،والعطور ، كذلك التطور المعنوي لجمال المرأة الروحي ، وهذا كله كان سبباً في ان تكون المرأة العربية امرأة متحضرة مترفة**(عبد الله حبيب كاظم التميمي، مصدرسابق،ص٢٢٦)** ، وقد أشار إلى ذلك جميل بثينة بقوله : **(ديوان جميل بثينة ، مصدر سابق،ص٢٠)**

" يَكادُ فَضيضَ المَاءِ يَخدِشُ جَلدَها إذا إغتَسَلَتْ بالمَاءِ من رِقَةِ الجِلدِ"

ايضا من تأثيرات المدينة على شعر الغزل أنه أصبح ظاهرة طبيعية في المجتمع الإسلامي كذلك ظهر تأثير المدينة في لغة الشعراء الخاصة بهم فجاء شعرهم عذباً سلساً سهلاً يفيض بالرشاقة ، اتسم بسمات ، وصفات اللغة المتحضرة الجميلة التي اقتربت من لغة حياتهم اليومية ، وابتعدوا عن الألفاظ الركيكة، والأسلوب الضعيف، وكذلك استعمالهم للصور الشعرية التي جاءت تعبيراً صادقاً عن الواقع المدني الجديد؛ لأنهم أدخلوا في صورهم العديد من معطيات الحياة العربية الجديدة في صدر الاسلام والعصر الأُموي **(عبد الله حبيب كاظم التميمي ، مصدر سابق، ص٢٢٧)**

**الخاتمة :**

توصل البحث الحالي الى جملة من النتائج التي كشفت النقاب عن مضمون الهدف المعلن لمسار الموضوع في صياغته المطروحة وكما يلي :

- يرتبط الشعر والنوازع الوجدانية ارتباطاً وثيقاً بالتطور الحضاري ، كونهما يمثلان أبرز مقومات الحضارة والتمدن ، وعلى إثر التحولات المجتمعية المتمثلة بالانتقال من حياة الريف الى الحضر فقد ظهر التحول الدلالي جلياً في البنية النصية لشعر التشبيب في العصر الاموي .
- من ابرز مظاهر وسمات التحول الدلالي في شعر الغزل الاموي هو ترك المقدمات الطللية المتبعة في الشعر الجاهلي ، فضلا عن شيوع ظاهرة المراسلات والرسائل الشعرية الموسومة باسم الآخر الصريح ، فقد اصبحت تلك الادوات شائعة في ذلك العصر كضرورة للتواصل وتبادل اطراف الشعر المحمل بالوان الحس المرهف ، وتأكيد الاهتمام بمشاعر المرأة ، وترسيم كل ذلك بلغة شعرية واضحة وعذبة وسائغة .
- أخذت معالجات وآليات التحول الدلالي في شعر التشبيب تبعاً للتحولات الحضارية ومؤثراتها الواضحة لتكشف عن ثلاث اتجاهات في هذا النظم وهي ما سمي اولها بـ(الغزل العذري) وهو غزل ملتزم بتعاليم الدين الحنيف وبعيد عن الشهوات والملذات الحسية ، والآخر هو (الغزل العمري) نسبة للخط الذي رسمه الشاعر عمر بن ابي ربيعة في منظوماته الغزلية ، والأخير ما وسم بـ(الغزل التقليدي) والذي يعود باصوله الى تقاليد المنظوم التشبيبي في العصر الجاهلي .
- انتشر ما يعرف بـ(الغزل الكيدي) وهو نوع آخر من المنظوم الغزلي وبدلالات جديدة في العصر الاموي تبعاً للروح الحضرية التي بثت مؤثراتها في نفوس الشعراء والناظمين الغزليين ، وذلك النوع من انواع الغزل هو من افرازات الاحداث السياسية لذلك العصر ، الذي يتعرض فيه الشاعر الى نساء الطبقة الحاكمة ليرسم صورة غرامية متوهمة ما بينه وبين تلكم النسوة ، كأداة استفزاز وطعن وتشهير بالشخصيات الذكورية الحاكمة .

**المصادر**


١- **القرآن الكريم .**

٢- ادب السياسة في العصر الاموي : احمد محمد الحوفي ، دار القلم ، بيروت– لبنان ، ١٩٦٥ .

٣- الادب القديم نص ودرس : د زين الدين زكريا الشيخ ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٦ .

٤- الادب والمجتمع – دراسة في علم اجتماع الادب : الدكتور حسين عبد الحميد احمد رشوان ، المكتب الجامعي الحديث ، مصر، ٢٠٠٥ .

٥- انواع الغزل في العصر الاموي ، روان مخيبر، ٢٠٢٣، mawdoo3. Com.

٦- بنية التركيب المفارق في شعر الغزل الأموي : وسن صادق و جميل بدوي ، ( بحث منشور) مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، العدد ٤١ ، جامعة واسط ، ٢٠٢٠ .

٧- تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي : يوسف خليف ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

٨- تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام : شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٥٩ .

٩- التطور في الفنون : توماس مونرو ، نقله الى العربية : محمد علي ابو درة واخرون، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢ .

١٠- حديث الاربعاء، طه حسين ، ج١ ، دار المعارف بمصر، ١٩٥٤ .

١١- ديوان العرجي: حققه : سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨ .

١٢- ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق : حَنا نَصر الحِتّي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩١ .

١٣- ديوان إمرؤ القيس : شرح عبد الرحمن المصطاوي ، ط٢ ، دار المعرفة ، لبنان – بيروت ، ٢٠٠٠ .

١٤- ديوان ايمن بن خُريم : تحقيق : الطيب العَشاش ، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر – بيروت ، ١٩٩٩ .

١٥- ديوان جميل بثينة : تحقيق : بطرس البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٢ .

١٦- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: تحقيق : عزيزة فوال بابتي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٥ .

١٧- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت : ١٩٧٠ .

١٨- ديوان عمر بن ابي ربيعة : تقديم وشرح : فايز محمد ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ .

١٩- ديوان كعب بن زهير ، شرح مفيد قميحة ، دار الشواف للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٩٩٩ .

٢٠- ديوان وضاح اليمن : تأليف : محمد بهجت الأثري واحمد حسن الزيات، تحقيق : محمد خير البقاعي ، دار صادر بيروت – لبنان، ١٩٩٦ .

٢١- سمير سعيد حجازي : معجم مصطلحات الانثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والادبية ، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة– مصر ، د.ت .

٢٢- شعر عروة بن أُذينة : تحقيق : يحيى الجبوري ، ط٢ ، دار القلم – الكويت ، ١٩٨١ .

٢٣- علم الدلالة : أحمد مختار عمر ، ط٥ ، عالم الكتب ، القاهرة . مصر ، ١٩٩٨ .

٢٤- العمدة في ذكر محاسن الشعر وادابه ونقده : ابي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد: ج١ ، مكتبة السعادة ، مصر ، ١٩٥٥ .

٢٥- الغزل الحجازي الحضري في العصر الاموي، دراسة في البنيوية والتكوين : فاطمة بنت عبدالله الشمري(رسالة ماجستير)، المملكة العربية السعودية ، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية ، ٢٠١٠ .

٢٦- الغزل الكيدي في الشعر الاموي ، دراسة تحليلية فنية ، علي جاد الحق سعيد ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية بقنا ، مج١ ، ع٨ ، جامعة الازهر ، مصر ، ٢٠٠٦ .

٢٧- الغزل تاريخه واعلامه، جورج غريب ، دار الثقافة والنشر، بيروت لبنان، (د ت) .

٢٨- في الادب الاسلامي والاموي، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية –بيروت ، ٢٠٠١ .

٢٩- ما هي السيميولوجيا : برنارد توسان ، ت : محمد نظيف، افريقيا الشرق، المغرب ، ٢٠٠٠ .

٣٠- مجتمع الحجاز في العصر الاموي بين الاثار الادبية والمصادر التاريخية، عبد الله الخلف ، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ٢٠٠١ .

٣١- مختار الصحاح : محمد بن ابي بكر الرازي ، طبعة مدققة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٦ .

٣٢- مظاهر التحضر عند شعراء الغزل في صدر الاسلام والعصر الاموي، عبد الله حبيب كاظم التميمي ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق– سوريا، ٢٠١١ .

٣٣- معجم التعريفات: العلامّة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (٨١٦ هـ)، تح: محمد صدّيق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة . مصر، د.ت .

٣٤- المعجم المفصل في الادب : محمد التونجي ، ط٢ ، ج١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، ١٩٩٩ .

٣٥- المكان في الشعر الأموي ، جميل بدوي حمد الزهيري، ( اطروحة دكتوراه) ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٤ .

٣٦- المنجد في اللغة : لويس معلوف ، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦ .

٣٧- الغزل في العصر الاموي : عفيف نايف حاطوم ، دار صادر بيروت ، ١٩٩٩ .